التحذير من التطفيف في المكاييل والموازين

الخطبة الأولى:

الحمد لله على فضله وإحسانه وإنعامه، لا نحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين من ربه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين تمسكوا بسنته، وساروا على نهجه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله -تعالى- واحترموا حقوق المسلمين في أموالهم، في دمائهم، وأموالهم وأعراضهم، قال صلى الله عليه وسلمَ: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»، قال صلى الله عليه وسلمَ في خطبتهِ في الحج في يوم النحر: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، ألا هل بلغت».

فاتقوا الله -عباد الله-، كما يحرم دم المسلم وقتله بغير حق كذلك يحرم مالهُ بغير حق ويحرم عرضه؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- حرَّم المسلم على أخيه المسلم فلا يجوز لمسلم أن يعتدي على أخيه أو ينقص حقهُ أو ينتهك عرضه؛ لأن المسلم له حرمة عند الله، وقد أخبر النبي -صلى الله عليه وسلمَ-: "أن حرمة المسلم عند الله أعظم من حرمة الكعبة" البيت الحرام، قال الله -سبحانه وتعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ١ – ٦]، و"الويل" هو العذاب والخسارة توعد الله بهِ المطففين، ثم بين من هم المطففون، فقال: ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ إذا كان لهم حقوق على الناس أخذوها وافية لا ينقص منها شيء وإذا كان للناس عليهم حقوق فإنهم ينقصونها ويبخسونها ولا يعطونهم حقوقهم كاملة سواءً كان هذا في الكيل أو الوزن أو كان في غير ذلك من سائر المعاملات، والله -جل وعلا- أمر بإيفاء المكاييل والموازين: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [الإسراء: ٣٥].

وقد أهلك الله أمةً من الأمم بسبب نقص المكاييل وهم قوم شعيب فإن الله أهلكهم بتطفيف المكاييل والموازين وعاقبهم عقوبة شديدة بسب ذلك مع شركهم بالله -عز وجل- وهذا مذكور في أكثر من موضع من القرآن الكريم لنعتبر بهِ ونتعظ بهِ، والله -جل وعلا- قال لنا: ﴿وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ * فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ * وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ [الرحمن: ١٠-١٢]، وقال قبلها سبحانه: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧ – ٩]، فنهى عن الأمرين، نهى عن الزيادة إذا أخذت من الناس شيئاً واستوفيته فلا تأخذ أكثر مما تستحق، وإذا أوفيت الناس فلا تنقصهم بل أعطهم حقهم كاملاً فكما أنك لا ترض أن ينقصوا حقك فكيف تنقصهم حقوقهم ﴿وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩] يعني لا تنقصوه ولا تبخسوه، ثم توعد من يبخسون المكاييل والموازين بأنهم سيجازون يوم القيامة ﴿أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ﴾ [المطففين: ٤] الذين يبخسون المكاييل الموازين ألا يعتقدون ﴿أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ [المطففين: ٤]، ﴿أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ [المطففين: ٤] من قبورهم بعد موتهم، مبعوثون لأي شيء؟ ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [المطففين: ٥] يوم القيامة، يوم الجزاء والحساب، متى؟ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾ [المطففين: ٦].

يقومون من قبورهم يقومون في المحشر على أقدامهم، يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، حافيةً أقدامهم، عاريةً أجسامهم، شاخصةً أبصارهم إلى السماء من شدة الهول، تدنو منهم الشمس، ويُلجمهم العرق، ويطول عليهم الوقوف أقل ما قيل أنهُ أربعون سنة وهم واقفون على أقدامهم ولا يكلمهم الله من شدة الغضب، لا يكلمهم الله، ولا يدرون ماذا يُصنع بهم، فإذا طال عليهم الوقوف طلبوا من الله بشفاعة محمد -صلى الله عليه وسلمَ- أن يفصل بينهم وأن يريحهم من الموقف إما إلى الجنة وإما إلى النار لشدة ما يقاسون، وطول المقام، والزحمة، والضنك الشديد، موقف عظيم وصفه الله بأنه يوم عظيم: ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٤ – ٥].

يقومون حفاة عراة عطشى، يعرقون من شدة الهول، ينتظرون ماذا يُفعل بهم، ماذا يكون المجرم في هذا اليوم، ما ذا يكون الذي بخس الناس أموالهم وأكل حقوقهم، ماذا يكون حالهُ في هذا اليوم -والعياذ بالله-، فليتذكر هذا اليوم كل من ارتكب هذه الجريمة مع الناس، وليس هذا خاصاً بالكيل والوزن بل هذا يشمل كل من يتنقص أموال الناس إما بأن يعطيهم الأكياس على أنها كاملة وهي مبخوسة مسحوب منها، مع الأسف أن الكفار يملؤونها ويوفونها ثم يأتي المسلم ويبخس منها ويستل منها من هذا ومن هذا

حتى يكوِّن منها أكياساً أخرى، أو يقول هذه السلعة أصلية وهي تقليد قد يضع عليها كتابة مزورة أو غلافٌ مزور ويقول هذه أصلية وهي تقليد ناقص ثم يأخذ مال أخيه بغير حق ويعتبر هذا من الحذق في البيع والشراء والذي يبيع على الناس بالوفاء والتمام يقول هذا مغفل ولا يُحسن التصرف ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولذلك أصبح الصدق في المعاملات اليوم غريباً والصدوق لا يسلك مع الناس اليوم، لا يمشي مع الناس الصدوق لأنهم يخونونه ويُفسدون عليه معاملته، وكذلك من البخس لحقوق الناس الذين يستأجرون الأجراء والعمال يستوفون منهم العمل ولا يعطونهم أجرتهم أو ينقصونها أو يؤخرونها، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلمَ-: «أعطوا الأجير أجرته قبل أن يجف عرقه»، وأخبر النبي -صلى الله عليه وسلمَ- أن ثلاثة يكون خصمهم النبي -صلى الله عليه وسلمَ- يوم القيامة وذكر منهم: «من استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يوفه حقه» سيكون النبي -صلى الله عليه وسلمَ- خصمه ومن خاصمه النبي -صلى الله عليه وسلمَ- فإنه يخصمه، فليتق الله أولئك الذين يتلاعبون في حقوق العمال و يهددنهم بالتسفير، يهددنهم بالطرد، يهددنهم بكل وعيد؛ لأنهم ضعفاء ليس لهم ناصر إلا الله -سبحانه وتعالى-، فعلى المسلمين أن يتنبهوا لهذا الأمر المخيف، كذلك من التطفيف والتخسير أن يبيع السلع على أنها سليمة وهي مغشوشة من الداخل يخفي عيبها ولا يذكره للمشتري ويأخذ منه الثمن كاملاً على أن سلعة سليمة وهي معيبة، مر النبي -صلى الله عليه وسلمَ- على بائع طعام فأدخل صلى الله عليه وسلم يده في الطعام فوجد في أسفله بللاً فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟» قال: أصابته السماء أي المطر، يا رسول الله، قال: «هلاَّ جعلته ظاهراً حتى يراه الناس، من غشنا فليس منا».

فيجب على البائع أن يُظهر ما في السلعة من العيوب ليدخل المشتري على بصيرة ويكون الثمن مناسباً لحالتها أما أن يبيعها على أنها سليمة ويأخذ ثمنها وافياً ثمن السليم وهي معيبة فهذا من الغش والخيانة ونقص الناس حقوقهم، بخس الناس حقوقهم، وهذا يأتي في السيارات وما أكثر ما يذكر عن أصحاب معارض السيارات من الخيانات والكذب والتدليس والتحايل يذكر عنهم الشيء الكثير، ماذا يذكر عن أصحاب العقارات العقاريين وكيف يبيعون الأراضي ويبيعون السلع وكيف يغشون ويخدعون.

فاتقوا الله -عباد الله- في إخوانكم احترموا أموالهم، أعطوهم حقهم وافياً كما تأخذون حقكم منهم وافياً، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، ما بالك بمن يبيعون الخضار في صناديق ثم يأتون بالتالف

والمعيب فيجعلونه في أسفل الصناديق ويختارون السليم والجيِّد ويجعلونه في أعلى الصناديق أو الأوعية ويشتريه المشتري بناءً على ظاهره و أسفلهُ تالف أو فاسد ثم يأخذ منه الثمن كاملاً ألا يتقي الله هؤلاء؟ ألا يظن هؤلاء ﴿أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٤ – ٦]، وجاء في الحديث الصحيح: أن أناساً يوم القيامة يأتون بأعمال صالحة أمثال الجبال ويأتي وقد ظلم هذا وقد ضرب هذا وأخذ مال هذا فيقتص لهذا من حسناته ولهذا من حسناته ولهذا من حسناته حتى تفنى أعماله التي كأمثال الجبال يأخذها الغرماء يوم القيامة وإذا بقي لهم شيء فإنه تؤخذ من سيئاتهم ثم تطرح على هذا الظالم، تطرح عليه ثم يطرح في النار، فالأمر خطير، والأمر شديد، اتقوا الله في إخوانكم، أيضاً اتقوا الله في أموالكم فإنكم ستحاسبون يوم القيامة من أين اكتسبته وفيما أنفقته، ستحاسب عن مالك يوم القيامة كما في الحديث الصحيح يقال لك: «من أين اكتسبته؟ وفيما أنفقته؟»، فما هو جوابك يوم القيامة؟

فاتقوا الله –عباد الله– احترموا أموال الناس، تعاملوا مع الناس بالصدق والأمانة وإلا فإنكم ستندمون.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من البيان والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على فضله وإحسانه، وأشكره على توفيقه وامتنانه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وسلَّم تسليماً كثيراً.

كما سمعتم فإن المسلم كلهُ حرام دمه، وماله، وعرضه، فالأعراض أيضاً لها حرمتها، أعراض المسلمين لها حرمتها كحرمة أموالهم، فبعض الناس يستطيل في أعراض إخوانه بالغيبة، والنميمة، والتنقص، والسخرية، والاحتقار، وغير ذلك، فينتهك حرمة ما حرَّم الله في أخيه المسلم، ولهذا قال في ختام "سورة المطففين" ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ [المطففين: ٢٩ – ٣٣]، ماذا تكون عاقبتهم؟ ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ* عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٣٤ – ٣٥]، يوم القيامة إذا دخل هؤلاء الضعفاء والمساكين الذين استهزأ بهم هؤلاء الكفرة والمستهزئين، إذا دخلوا الجنة وصاروا في أعلى المنازل صاروا يُطلون على هؤلاء المجرمين، يُطلون عليهم من شرفات الجنة ﴿عَلَى الأَرَائِكِ﴾ [المطففين: ٣٥]، وهي الكراسي والمجالس يُطلون عليهم وهم في النار يتشفَّون منهم، يضحكون عليهم، يرونهم يعذبون، قيل نزلت هذه الآية في أبي جهل وأبي لهب والوليد بن المغيرة، وفي غيرهم من طغاة الكفرة كانوا يسخرون من بلال وسلمان وصهيب وعمار من ضعفة المسلمين.

وكذلك يشمل هذا كل من سخر من مسلم من المسلمين فإنهُ سيحاسب عن ذلك يوم القيامة وسيؤول أمره إلى هذا إلى أن يكون هذا المستهزئ المستكبر في دركات النار والمستهزئ به في درجات الجنة جزاءً وفاقًا، ولهذا قال جل وعلا: ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٣٦]، هذا بفعلهم وبجزائهم.

فلنتق الله –يا عباد الله– في أعراض إخواننا المسلمين ولا سيما العلماء حملة الشريعة، حملة الشريعة، ورثة الأنبياء، لا يجوز أن نتنقصهم، ولا أن نتكلم في أعراضهم، ولا أن نقول فيهم إلا الخير، وأيضاً الكلام في ولاة الأمور، ولاة أمور المسلمين لهم حرمتهم، لهم هيبتهم، فلا يجوز أن نتنقصهم أو نتكلم فيهم لأن هذا يضر المسلمين، يعود بالضرر على المسلمين، وليست العبرة بجسم الرجل وجماله

وماله: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" إنما ينظر الله إلى القلوب وإلى الأعمال، لا ينظر إلى الصور والأموال، ولهذا قال في المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون: ٤]، فهم أصحاب مظاهر وأصحاب فصاحة وهم في الدرك الأسفل من النار، هم أحقر عند الله من الفئران، وهم يحسبون أنهم من سادة الناس، لماذا؟ لأنهم يحتقرون المسلمين، يتنقصون المسلمين، لابد من يوم يوقفون على حسابهم.

فلنتق الله في أنفسنا، نحترم أموال الناس، نحترم أعراض الناس بعدما نحترم دمائهم، فالدم شديد ولا يقل عنه المال ولا يقل عنه العرض.

فلنتق الله في هذه الحرمات لإخواننا المسلمين، والظلم لا يجوز حتى مع الكفار: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨]، فكيف العدل مع المسلمين؟

فلنتق الله في أنفسنا وفي إخواننا خصوصاً في أيام الفتن كهذه الأيام، علينا أن نحبس ألسنتنا عن الكلام في الأمور التي تضر المسلمين، علينا أن نكثر من الدعاء للمسلمين، من كان عنده علم وفقه أن يبين للناس الطريق الصحيح في هذه الفتن وما يأتي بعدها، ولا نشغل مجالسنا بالكلام الذي يعود بالضرر علينا وعلى إخواننا المسلمين.

فاتقوا الله -عباد الله-، واعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة، فإن يد الله على الجماعة، ومن شذ شذ في النار.

﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد، وارض اللهم عن خلفائه الراشدين، الأئمة المهديين؛ أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن الصحابة أجمعين، وعن التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمناً رخاءً سخاءً، وسائر بلاد المسلمين يا رب العالمين.

اللهم قنا شر الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم ادفع عنا شر الفتن وأهل الفتن وأبعدهم عنا يا رب العالمين.

اللهم احم أمننا وإيماننا واستقرارنا في أوطاننا، وأصلح ولاة أمورنا، واجعلهم هداة مهتدين، غير ضالين ولا مضلين، اللهم أصلح بطانتهم، وأبعد عنهم بطانة السوء والمفسدين.

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

عباد الله: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمْ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩٠ – ٩١].

فاذكروا اللهَ يذكرْكم، واشكُروه على نعمِه يزِدْكم، ولذِكْرُ اللهِ أكبرُ، واللهُ يعلمُ ما تصنعون.